

رسائل لينين في الأدب والفن

فلاديمير لينين

ترجمة: يوسف الحلاق

• من رسالة الى أ. ف. لوناتشارسكي

13-2-1908

عزيزي أ.ف!

البارحة بعثت اليك برسالة صغيرة بخصوص برينغمان. والآن أسرع لأجيبك على رسالتك المؤرخة في ٢/١١.

لا أفهم تماما ما كدرك في رسالتي؟ أليس بسبب الفلسفة؟!

مشروعك بخصوص الباب الأدبي في البروليتاري و العهدة به الى الكسي مكسيموفنتش رائع، و يسرني سرورا غير عادي. كان حلمي بالضبط أن اجعل باب النقد والأدب في (البروليتاري) بابا دائما، وأن اعهد به الى أ.م. - لكنني كنت أخاف، أخاف لدرجة فظيعة، عرض هذا الأمر عليه بصراحة. فأنا لا اعرف طبيعة عمله (وميوله). إذا كان الرجل مشغولا بعمل جدي كبير وكان توزيع جهده على أشياء صغيرة كالصحيفة والأدب، سيضر بهذا العمل، فمن الغباء والجريمة أن نحوله عن هذا العمل ونعيقه عنه. إنني أفهم هذا الأمر جيدا و أشعر به.

وأنت في موقعك أبصر بالأمر، ايها العزيز. حاول ترتيب الأمور، إذا كنت تعتقد أننا لن نلحق ضررا بعمل أ.م. فيما لو أشركناه في العمل الحزبي المنتظم (وسيفيد العمل الحزبي حتما من ذلك كثيرا..). ... أشد على يدك بقوة، وأرجوك ان تخبرني

أن كانت قضية مساهمة أ.م. في (البروليتاري) قد سويت. فليبدأ حالا دون انتظار
(للمؤتمر) وللاتفاق، إذا كان جوابه إيجابيا .

جنيف

ج ٤٧ ص ١٣٥ - ١٣٦

• الى أ.م غوركي

13/2/1908

أعتقد أن ما اثرته من مسائل حول خلافاتنا ليس إلا سوء تفاهم. فأنا لم أفكر
بالتطبع في (طرد المتفقين) كما يفعل النقابيون الاغبياء، أو أن انكر ضرورتهم
للحركة العمالية. ففي هذه المسائل كلها لايمكن أن يكون بيننا خلاف. وأنا واثق من
ذلك ثقة وطيدة. وبما أنه لايمكننا أن نلتقي الآن، فمن الضروري أن نبدأ معا على
الفور. ففي العمل سيكون اتفاقنا النهائي اسهل وأفضل.

سرني جدا جدا مشروعك الخاص بكتابة اشياء صغيرة للبروليتاري (و قد ارسل
لك الاعلان)، ولكن بما إن لديك عملا كبيرا فلا تنقطع عنه طبعاً.

كنت اريد أن أجيئك في المرة السابقة بخصوص تروتسكي، لكنني نسيت. فنحن
(أي هيئة تحرير البروليتاري) هنا، أي أ.ل. و أنا و اخر(*)، وهو زميل ممتاز
من البلاشفة الروس) قررنا فوراً دعوته للمساهمة في البروليتاري، و حددنا له
موضوعاً و عرضناه عليه، ثم وقعنا الكتاب بالاتفاق العام هيئة تحرير البروليتاري،
رغبة منا في طرح القضية على مستوى أكثر جماعية (فبيني شخصياً و بين
تروتسكي على سبيل المثال، معركة كبيرة، و قد كان العراك بيننا على اشده في
أعوام ١٩٠٣-١٩٠٥ عندما كان منشقياً). ولست أدري، إذا كان تروتسكي قد استاء

من صياغة الدعوة بهذا الشكل. لكنه بعث برسالة لم يكتبها هو نفسه. فقد اعلمت هيئة تحرير البروليتاري (بتفويض من الرفيق تروفسكي) أنه يرفض الكتابة لانشغاله.

إنها وقفة تصنع على ما يبدو لي. وقد وقف في مؤتمر لندن الوقفة نفسها. فلا أدري إذا كان سيسير مع البلاشفة ..

نشر المناشفة اعلانا هنا وقعه بليخانوف و أكسيلرود و دان و مازوف و ماتتينوف عن اصدار مجلة شهرية صوت الاشتراكي الديمقراطي . سأرسلها إليك فور حصولي عليها. قد يحدث الصراع. أما تروتسكي فيريد أن يكون (فوق المجموعات المتصارعة) ..

اما بخصوص المادية، بوصفها فهما للحياة، فأعتقد اني لا اوافقك من حيث جوهر الموضوع. فالحديث يدور بالضبط هنا لا عن (الفهم المادي للتاريخ) (فهذا امر لاينكره "تجربونا")، بل عن المادية الفلسفية. ام ان يكون الانغلو ساكسونيون مدينين للمادية بروحهم البرجوازية الصغيرة، والرومانيون بفوضويتهم، فهذا امر اعارضه بكل حزم. فالمادية فلسفة مهملة عندهم في كل مكان. (فنيوزيت)، وهي اكثر المجالات رصانة و اطلاعا، لا تهتم بالفلسفة، و لم تكن في يوم من الايام نصيرة متحمسة للمادية الفلسفية. و مع هذا نشرت في الآونة الأخيرة مقالات التجريبيين بدون اي تحفظ.

ام ان يكون بالامكان استخلاص نظرة برجوازية صغيرة ميتة من تلك المادية، التي علمنا اياها ماركس وانجلس، فأمر غير صحيح، غير صحيح! ان التيارات البرجوازية الصغيرة في الاشتراكية الديمقراطية تحارب، اكثر ماتحارب، المادية الفلسفية، و تميل الى كنف والكنظية الجديدة والفلسفة الانتقادية. كلا، فتلك الفلسفة، التي اسسها انجلس في كتابه (ضد ديوهرنغ)، (لاتسمح للبرجوازية الصغيرة حتى بوطؤ عتبة البيت. و بليخانوف سيئ الى هذه الفلسفة بربطه الصراع هنا مع

الصراع الانشقاقي. ومن واجب كل اشتراكي ديمقراطي روسي الا يخلط بين بليخانوف السابق و بليخانوف الحالي.

لقد خرج آل. آل. لتوه من عندي. ساخبره مرة اخرى بخصوص (المؤتمر). فأذا كنتم تصرون، يمكن ترتيبه لمدة يومين و بأسرع ما يمكن.

اشد على يدك

لينين

جنيف

ج ٤٧ ص ١٣٦ - ١٣٨

(*) هو أ.ف. دوبروفسكي (هيئة التحرير)

• الى أ.م. غوركي

25-2-1908

لم ارد على رسالتك فورا، فقد قام بيننا (وقد يبدو الامر غريبا للوهلة الاولى) شجار قوي الى درجة ما مع آل. آل. في هيئة التحرير. وسبب هذا الشجار او بعض سببه هو مقالتك^(١).....هم...هم.. ولم اتكلم، كما ظننت، لا في ذلك المكان ولا بتلك المناسبة!

لقد حدث الامر على النحو التالي.

لقد زاد كتاب (دراسات في الفلسفة الماركسية) من حدة الخلافات القديمة القائمة بين البلاشفة في مسائل الفلسفة الى حد كبير. أنا لأعتبر اني على درجة من الكفاءة في هذه المسائل تؤهلني لان اعالج هذه الموضوعات كتابة.

لكنني كنت اتتبع دائما وباهتمام مناظراتنا الحزبية في الفلسفة بدءا من نضال بليخانوف ضد ميخائيلوفسكي وشركاه في آخر العقد التاسع وحتى عام ١٨٩٥، ثم نضال بليخانوف نفسه ضد الكنطيين عام ١٨٩٨ ومايليه (وهنا لم اکتف بمتابعة مايجري بل شاركت فيه جزئيا بوصفي عضوا في هيئة تحرير (زاريا) منذ عام ١٩٠٠)، واخيرا نضاله ضد التجريبيين الانتقاديين وشركاهم.

وتابعت مؤلفات بوغدانوف في الفلسفة منذ ظهور كتابه القوي (النظرة التاريخية الى الطبيعة) الذي درسته باعمان خلال وجودي في سبيرييا. ولم يكن موقف بوغدانوف هذا الا نظرات فلسفية اخرى. وقد تعرفت عليه شخصيا عام ١٩٠٤ وأهدى كل منا الى الآخر فورا احد كتبه: قدمت له {خطوات} ^(١٢) وقدم لي أحد مؤلفاته الصادرة آنذاك ^(١٣)، ثم كتبت اليه بعد ذلك بقليل (في ربيع عام ١٩٠٤ أو أوائل صيف ذا العام) من جنيف الى باريس إن مؤلفاته تثنييني بقوه عن اعتقادي في صحة نظراته، و تقنعي اقناعا قويا بصحة نظرات بليخانوف.

وعندما كنت أعمل مع بليخانوف تحدثت معه أكثر من مرة عن بوغدانوف، و قد شرح لي بليخانوف خطأ أفكار بوغدانوف. لكنه لم يكن يعتبر انحرافه هذا كبيرا إلى درجة ميئوس منها. وأذكر تماما إننا تحدثنا أنا وبليخانوف، في جنيف صيف ١٩٠٣، باسم هيئة تحرير (زاريا) مع مندوب عن هيئة تحرير (دراسات في النظرة الواقعية إلى العالم) ^(١٤). ووافقنا على المساهمة معهم، انا في المسألة الزراعية و بليخانوف في الفلسفة ضد ماخ، وكان شرط بليخانوف، للمساهمة هو نشر مقاله ضد ماخ. وقد قبل مندوب (الدراسات) قبولا تاما هذا الشرط. كان بليخانوف يرى في بوغدانوف آنذاك نصيرا في النضال ضد التحريفية، لكنه نصير يخطيء بقدر مايسير وراء أوستقالد و بالتالي وراء ماخ.

وفي صيف عام ١٩٠٤ و خريفه التقيت نهائيا مع بوغدانوف بوصفنا من البلاشفة و عقدت معه ذلك الحلف الصامت، والذي يبعد الفلسفة بصمت، باعتبارها مجالا محايدا. و قد استمر هذا الحلف طوال الثورة واتاح لنا أن نمارس معا في

الثورة تكتيك الاشتراكية الديمقراطية الثورية (البلشفية) الذي كان هو الصحيح وحده حسب قناعاتي العميقة.

ولم يتيسر لي ان اهتم بالفلسفة في حمى الثورة الا قليلا. وفي أوائل عام ١٩٠٦ كتب بوغدانوف وهو في السجن كتابا آخر هو الجزء الثالث من (التجربة الاحادية) على ما يبدو. وفي صيف العام نفسه قدم لي كتابه فقرأته بامعان. وما إن قرأته، حتى غضبت وحن جنوني، إذ اتضح لي بشكل اكبر أنه يسير في طريق غير صحيح بناتا، طريق غير ماركسية. فكتبت اليه آنذاك (أعترافا بالحب)، وهو رسالة في الفلسفة بحجم ثلاثة دفاتر. وقد اوضحت له فيها أنني، بالطبع ماركسي عادي في الفلسفة. إلا أن مقالاته الواضحة المبسطة المكتوبة بشكل رائع هي التي تقنعي نهائيا في خطأه من حيث الجوهر، وبصواب آراء بليخانوف. وقد عرضت هذه الدفاتر على بعض الاصدقاء ومنهم (لوناتشارسكي) وفكرت لبعض الوقت في طبعها بعنوان (ملاحظات ماركسي عادي حول الفلسفة)، لكنني لم اقدم على ذلك. والآن أندم على كوني لم اطبعها فورا. ولقد كتبت منذ ايام إلى بطرسبرغ اطلب فيها البحث عن هذه الدفاتر وارسالها إلي.

والآن صدرت (دراسات في الفلسفة الماركسية). وقد قرأت مقالاتها كلها إلا مقالة سوفوروف (فأنا أقرأها الآن) ، مع كل مقالة ارغي وازيد استياء. كلا ليس هذا بالماركسية. إن تجربينا الانتقادين وأصحاب نظرية التجربة الاحادية والتجريبية الرمزية ينزلقون إلى المستنقع. ان تؤكد للقارئ بأن "الإيمان" بواقعية العالم الخارجي "صوفية" (بازاروف)، وأن تخلط بشكل مزر بين المادية والكنطية (بازاروف و بوغدانوف)، وأن تبشر بنوع من اللاأدرية (هو التجربة الانتقادية)، ومن المثالية (هو التجربة الاحادية)، وأن تعلم العمال "الاحاد الديني" (وعبادة) الطاقات الانسانية العليا (لوناتشارسكي)، وان تعلن تعاليم انجلس في الديالكتيك صوفية (بيرمان)، وان تغرف من مصدر نتن (لوضعين) افرنسيين نكرات- لا ادريين او ميتافيزيقيين اصحاب "النظرية الرمزية في المعرفة" (بوشكافيتش)،

ليأخذهم الشيطان جميعا- كلا هذا يتجاوز كل حد !! اجل. نحن ماركسيون عاديون، اناس لم يقرؤوا الفلسفة كثيرا. ولكن لماذا يسيئون الينا هكذا، إذ يقدمون لنا مثل هذه الأشياء على انها فلسفة ماركسية؟ إنني افضل ان تقطع يداي و قدمي ورأسي على الاشتراك في جريدة أو هيئة تحرير تدعو إلى اشياء كهذه.

وعاودني الحنين مرة اخرى إلى (ملاحظات ماركسي عادي حول الفلسفة) فشرعت في كتابتها. وقد عرضت انطباعاتي خلال قراءتي (للدراستات)، على أل. أل. بصورة صريحة وفضة بطبيعة الحال.

وستسأل: ما علاقة هذا كله بمقالي؟ علاقته هي انك تبدأ في مقالك المرسل إلى البروليتاريا بشكل واضح تماما في عرض وجهات نظر اتجاه واحد، في وقت تهدد فيه هذه الخلافات بين البلاشفة بالتصاعد تصاعدا حادا. انا لا اعلم بالطبع ماذا سيخرج من بين يديك في النهاية وكيف سيكون. زد على ذلك اني اعتقد ان الفنان يستطيع ان يعرف في كل فلسفة أشياء كثيرة تنفعه، واخيرا فإنني اوافق موافقا تامة ومطلقة على انه يمكنك في مسائل الابداع الفني، ان تقرأ الكتب كلها، وعلى انك تستطيع حين تستخلص هذا النوع من الافكار من تجربتك الفنية ومن الفلسفة معا (وان تكن مثالية)، ان تصل إلى نتائج تعود بالنفع العظيم على الحزب العمالي. هذا كله صحيح. ومع هذا فإن على (البروليتاري) ان تظل محايدة حيادا مطلقا من اختلافاتنا كلها حول الفلسفة وان لاتعطي القارئ ظلا من سبب يجعل المرء يربط بين البلاشفة، بوصفهم اتجاها وخطا تكتيكييا للجناح الثوري من الاشتراكيين الديمقراطيين الروس، وبين التجربة الانتقادية او التجريبية الاحادية.

عندما قلت ل أ. أ.، بعد ان قرأت مقالك واعدت قراءته، إنني ضد نشره، اصبح وجهه اقتم من غيمة سوداء، وخيم فوقنا على الفور جو الانشقاق.

والبارحة دعونا اعضاء هيئة التحرير الثلاثة الى اجتماع خاص لمناقشة المسألة، وهناك ساعدنا على غير انتظار فلتة وجدناها في نيوزيت. فقد نشر مترجم مجهول

في العدد ٢٠ مقالة بوغدانوف عن ماخ و اشار دون مبرر في المقدمة الى ان الخلافات بين بليخانوف و بوغدانوف تنجى الى ان تصبح خلافا انشاقيا بين البلاشفة والمناشفة من الاشتراكيين الديمقراطيين الروس.

لقد وحدنا هذا الأحمق (او الحمقاء)، كاتب هذه المقدمة، بكلماته، واتفقنا فوراً على ضرورة الاعلان حتما عن حيدانا فوو اول عدد من البروليتاري وكان هذا يتوافق الى اقصى حد مع مزاجي بعد صدور (الدراسات). وقد كتبنا الاعلان و وافقنا عليه بالاجماع، وسيصدر غدا في العدد الحادي والعشرين من البروليتاري وسنبعثه اليك. اما بخصوص مقالك، فقد قررنا تأجيل البحث فيه حتى نعرض عليك الوضع في ثلاث رسائل من كل من محرري البروليتاري الثلاثة، وبعد ان نسرع انا و بوغدانوف بالذهاب اليك.

وعلى هذا، انتظر رسالة من ال. ال. ورسالة من المحرر الثالث الذي كتبت لك عنه سابقاً.

اما انا فأعتقد ان من الضروري ان اقول راياي بصراحة تامة. اني ارى ان الاقتتال بين البلاشفة في مسائل الفلسفة امر لا بد منه، اما الانشقاق بسبب ذلك فغباء. لقد وقعنا حلفاً لنمارس تكتيكا محدداً في الحزب العمالي، ولقد مارسنا هذا التكتيك ولانزال نمارسه حتى الآن دون خلافات (الخلاف الوحيد كان بخصوص مقاطعة الدوما الثالثة، لكن هذا الخلاف لم يتصاعد الى حد الاشارة الى الانشقاق). هذا اولاً، ثم ان هذا الخلاف لم يكن يتطابق والخلاف بين ماخيين و ماديين، اذا كان الماخي بازاروف مثلاً، كما كنت انا، ضد المقاطعة، وقد كتب (في البروليتاري) مقالة هجائية في هذا الموضوع.

إن إعاقة ممارسة تكتيك الاشتراكية الديمقراطية الثورية بسبب المناقشات حول المادية والماخية غباء لا يغتفر في نظري. علينا ان نتخاضم في شؤون الفلسفة

بشكل لاتمس معه وحدة "البروليتاري" والبلاشفة بوصفهم جناحا من الحزب وهذا امر ممكن تماما.

وفي رأيي أن من واجبك ان تساعدنا في ذلك. وانت قادر على مساعدنا بعملك معنا في "البروليتاري"، ومساهمتك في المسائل الحيادية (أي المسائل التي ليس لها أي علاقة بالفلسفة)، كمسائل النقد الأدبي والمقالة الاجتماعية و الابداع الفني الخ. وعليك أن تعيد صياغة مقالك، أي أن تنقل ما له علاقة بفلسفة بوغدانوف إلى مكان آخر (حتى ولو كانت علاقة غير مباشرة)، اذا أردت أن تحول دون الانشقاق، وأن تساعدنا على حصر المعركة الجديدة. لديك، والحمدلله، مجالات اخرى غير البروليتاري تستطيع أن تكتب فيها. كما يمكنك أن تكتب في كل ما ليس له علاقة بفلسفة بوغدانوف -وقسم كبير من مقالك لا علاقة له بها- في عدة مقالات "للبروليتاري".

إن اي تصرف اخر من جانبك، أي رفض اعادة النظر في المقال أو رفضك المساهمة في "البروليتاري"، سيؤدي حتما في رأيي الى ازدياد حدة النزاع بين البلاشفة، والى عرقلة حصر النزاع الجديد واضعاف قضية الاشتراكيين الديمقراطيين الروس الحيوية والضرورية عمليا وسياسيا.

هذا هو رأيي. وقد قلت لك كل ما كنت أفكر فيه، وانا الآن في انتظار جوابك.

كنا نريد أن ناتي اليك اليوم ولكن تبين أن علينا أن نؤجل سفرنا اسبوعا على الأقل و ربما اسبوعين أو ثلاثة.

أشد على يدك بقوة.

لينين - جنيف

ج ٤٧ ص ١٤١-١٤٥

هوامش:

- ١١- يقصد مقالة غوركي {تحطيم الشخصية}
- ١٢- المقصود هو كتاب لينين {خطوه الى الامام، خطوات الى الورااء}
- ١٣- المقصود هو كتاب بوغدانوف {التجربة الاحادية}
- ١٤- مجموعات مقالات كتبها لوناتشارسكي و بوغدانوف و شوتلياكوف و غيرهم و صدرت عام ١٩٠٤ في بطرسبورغ. لم تنشر في المجموعة مقالتا لينين و بليخانوف.

النسخة الالكترونية / محمود محمد عثمان